

## (١٦) ونؤمن بالكرام الكاتيين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

قال المؤلف غفر الله له: (ونؤمن بالكرام الكاتيين فإن الله قد جعلهم علينا حافظين ونؤمن بملكالموت الموكل بقبض أرواح العالمين).

هاتان الفقرتان أجمل الشيخ -رحمه الله- فيهما الكلام عن الركن الثاني من أركان الإيمان وهو الإيمان

بالملائكة، فإن الإيمان بالملائكة من أصول الإيمان ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد قال في كتابه: {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ

تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ} [البقرة: ١٧٧]، وقال

سبحانه وتعالى في آخر سورة البقرة {كُلُّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ} [البقرة: ٢٨٥]، وقال نبيه صلى

الله عليه وسلم (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته) وذكر الباقي، فالإيمان بالملائكة أصل من أصول الإيمان لا يتم إيمان

امرء إلا به.

ثم أيها الإخوة الكرام والأخوات الكريمات ومن بلغ عالمان غيبيان عالم الملائكة وعالم الجن والشياطين

والعجب أن شعور الناس بعالم الجن والشياطين أقوى من شعورهم بعالم الملائكة مع أن حاجتهم لاستصحاب

الإيمان بالملائكة أعظم بكثير من حاجتهم للجانب الآخر فالله سبحانه وتعالى قد عظم أمر الإيمان بالملائكة ونبيه

قد أفاض من النصوص التي تدل على الصلة الحميمة الوثيقة بين الملائكة والإنسان ومع ذلك فإن الملاحظ أن

شعور كثير من الناس في وجود الملائكة ضعيف حتى لكأنما أن يكون من فضول العلم فلا يشعرون بقلوبهم ولا

يستصحبونه في خلواتهم وجلواتهم مع عظيم أثرهم كما سيتبين.

## فمن الملائكة؟

الملائكة عالمٌ غيبي وحين نقول عالمٌ غيبي أي أنه لا يدخل في عالم الشهادة، فليست الملائكة ترى

بالأعين بل إن الله تعالى حجبهم عنا ولما طلب الكافرون ذلك رد الله تعالى طلبهم وقال: {يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا

بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا} [الفرقان: ٢٢]، فالأصل أن الإنسان لا يرى الملائكة هذا هو

الأصل إلا بإستثناء يشاؤه الله تعالى كرؤية النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل أو لغيره من الملائكة أو رؤية غيره من

الأنبياء.

وأكثر ما يقع أن يتمثل الملائكة بصورة إنسي فيراه الأدمي وليس لأحد أن يدعي ذلك وإلا لنفتح الباب

وكثرة المخاريق والدعاوى وغير ذلك لكن ما دل الدليل عليه فإننا نؤمن به فنقول إن الملائكة عالمٌ غيبي خلقهم الله

تعالى من نور فمادة خلقهم النور والله تعالى يخلق كل جنسٍ من خلقه مما يشاء ففي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من نار وخلق أبوكم آدم مما نعت لكم أو مما وصف لكم) أي من طين.

إذاً: مادة خلقهم النور فهم أجسامٌ نورانيةٌ وحينما نقول أجسام نعني ما نقول بمعنى أن لهم حقائق وجودية فليسوا عبارةً عن قوى معنوية كما ادعاه بعض المهزومين أمام الحضارة المادية، حاول أن يزحلق العقائد الإسلامية ويلبسها لبوساً عصرانياً هرباً من تهمة الإيمان بالمعيبات وكأن الإيمان بالمعيبات سبب فأمم هجمة الحضارة المادية الغربية قال بعضهم إن الملائكة هم عبارة عن قوى الخير المبتوثة في الكون كحبوب اللقاح والبكتيريا النافعة وغير ذلك من الترهات وهذا لا شك أنه باطل وبعضهم قال أنهم قوى الخير المعنوية في الكون كل هذا كلامٌ باطلٌ لا طائل من ورائه لمصادمته للنصوص فهم عالمٌ حقيقي خلقهم الله تعالى من نور وسخرهم في طاعته وعبادته وكلفهم بأعمال ووظائف يقومون بها وأعطاهم القوة على ذلك هكذا نقول عن الملائكة بشكلٍ عام.

وأصل الملائكة أو الملائك جمع ملاك وملاك مخففة من مَلَأَ وأصلها مَأَلَك من الألوكة وهي الرسالة، فمَأَلَك أي رسول ثم حصل تفتيحٌ وترقيقٌ مَلَأَك ثم خففت إلى ملاك، فكلمة الملائكة مشتقةٌ من الألوكة وهي الرسالة وذلك أنهم رسل قال الله تعالى: {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمَنْ النَّاسِ} [الحج: ٧٥]، لا يتم الإيمان بالملائكة الكرام إلا بالإيمان بعدة أمور أول هذه الأمور ما أشرنا إليه آنفاً وهو الإيمان بوجودهم حقاً أي أنهم خلقٌ حقيقي ليسوا قوى معنوية وليسوا كما زعم بعض الزاعمين أنهم قوى الخير المفيدة في الكون من المحسوسات، كلا بل هم لهم خلقٌ حقيقي بأوصافٍ سيأتي ذكر بعضها، فلا يتم إيمان امرئ بالملائكة حتى يؤمن بهذه المسألة وأنهم خلقٌ حقيقي خلقهم الله تعالى من نور.

الأمر الثاني: الإيمان بما علمنا من أسمائهم بإسمه ومن لم نعلم اسمه فإننا نؤمن به إجمالاً، نحن لا نعلم كثيراً من أسماء الملائكة نعلم ما أعلمنا الله تعالى إياه فنعلم جبريل أو جبرائيل، ميكائيل، إسرافيل، مالك، خازن النار، رضوان خازن الجنة، منكر ونكير كما جاء في بعض الأحاديث، هكذا أعلمنا الله بأسماء بعض ملائكته والذي لا نعلمه منهم أضعاف ذلك وذلك أنهم خلقٌ كثير لا يحصيه كثرةً إلا الله عز وجل قال الله تعالى: {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ} [المدثر: ٣١]، وقال صلى الله عليه وسلم لما ذكر البيت المعمور في السماء السابعة قال: (يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه آخر ما عليهم) يعني لا تأتيهم النوبة مرةً أخرى، يومياً الطائفون بالبيت المعمور سبعون ألف ملك ثم لا تأتيهم النوبة مرةً أخرى فهذا يدل على كثرتهم ومما يدل أيضاً على كثرتهم قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها أربعة أصابع إلا وملكٌ قائمٌ أو ساجدٌ أو

راكَعَ اللهُ تَعَالَى) فهذا يدل على كثرتهم البالغة وبالتالي فإننا نؤمن إجمالاً بيقينتهم ومن علمنا اسمه بدليل صحيح من كتاب أو سنة آمننا به باسمه.

**أما المقام الثالث: فهو الإيمان بما علمنا من صفاتهم** فقد أخبرنا الله تعالى عن بعض صفاته مما يدحض

دعوى المدعين أنهم قوى معنوية فمما أعلمنا الله تعالى وأوقفنا عليه قوله { الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ } [فاطر: ١]، إذاً علينا أن نؤمن بهذه القضية وأن لهم أجنحة وليس من ذلك أن نتصور تلك الأجنحة كما يفعل النصارى في كنائسهم ولوحاتهم التي يرسمونها دائماً يصورون الملائكة بصورة أطفال لهم أجنحة كأجنحة الطير هذا محض خيال.

فالملائكة الكرام نعم لهم أجنحة يكفيها من لفظ الأجنحة أنها أداة للطيران والانتقال نحو العلو أو الهبوط هذا المعنى يكفي ولو لم نتصور حقيقة هذه الأجنحة وأخبر أنهم متفاوتون في هذه الأجنحة { مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ } [فاطر: ١]، حتى رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام له ستمائة جناح قد سد الأفق وفي بعضها يسقط منها مثل اليواقيت من هولها وعظمتها فلهم أشكال متفاوتة مما أعلمنا الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم من أوصافهم أثبتنا ذلك الوصف من ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم (أذن لي أن أحدث عن ملكٍ من حملة العرش ما بين شحمة أذنه وعاتقه يخفق الطير سبعمائة عام أو يخفق الطير سبعمائة عام) شيء هائل شيء يتقاصر الخيال عن تصويره والإحاطة به لكننا ندرك هذا المعنى ونشبهه ونقره، فالملائكة الرحمن خلقٌ حقيقي لهم أوصافٌ معينة، هل هم موصوفون بالجمال وحسن الصورة أم لا؟

نعم الملائكة خلق جميل في أوصافه ما الدليل؟ لو تأملت في الفطر لوجدت كل إنسان يجد في فطرته أن الملك خلقٌ جميل وأن الشيطان خلقٌ قبيح، تأمل النسوة صويحبات امرأة العزيز لما خرج عليهن يوسف ماذا قلن { وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ } [يوسف: ٣١]، فاقترن لفظ الملك بالجمال والله تعالى لما ذكر جبريل عليه السلام قال: { ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى } [النجم: ٦]، والمرّة هي الهيئة الحسنة الجميلة فالأصل في الملائكة جمال الصورة ولذلك إذا تمثلوا بصورة البشر أتوا على صورةٍ حسنة، فحينما تمثل جبريل بصورة رجلٍ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تمثل بصورة الكلبي وكان رجلاً حسن الصورة ولما جاء الملائكة إلى إبراهيم ثم إلى لوط أتوا على هيئة شبانٍ شباح الوجوه لأن هذا هو الأنسب والأقرب لطبيعتهم.

لكن لا يمنع أن يكون من ملائكة الرحمن من يخلقه الله تعالى على هيئةٍ منفرةٍ قبيحة عقوبةً لمن يتعاملون معها كأصحاب النار، قد يكونوا ملائكة النار الذين جعلهم الله تعالى قوامين عليها يعذبون المشركين والكفرة على هيئةٍ قبيحة ليكون ذلك أبلغ في تعذيبهم لكن من حيث الجملة هم يوصفون بالحسن والجمال في حين أن الشياطين

يوصفون بالقبح لهذا قال ربنا { طَلَعَهَا كَأَنَّه رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ } [الصفات: ٦٥] مع أن أحداً لم يرى رأس الشيطان لكن لأنه مستقر في الأفئدة والفطر أن الشياطين خلق دميم.

إذاً: نؤمن بما وصفهم الله تعالى به أو وصفهم به نبيه صلى الله عليه وسلم وهذا جزء من إيماننا بالغيب.

**المقام الرابع وهو أوسع المقامات الإيمان بما علمنا من أعمالهم ووظائفهم التي وكلها الله تعالى**

**إليهم** فإن الله تعالى أخبرنا بأن لهم وظيفة عامة مشتركة وهي عبادة الله وتسبيحه بذات التسبيح يقول الله عز وجل:

{ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ } [الأنبياء: ٢٠]، وفي موضع { لَا يَسْأَمُونَ } [فصلت: ٣٨] ، وفي موضع

{ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ } [الأنبياء: ١٩] فهم في تسبيح مستمر لهم زجلاً بالتسبيح عليهم السلام، فملائكة الرحمن

ألهمهم الله تعالى تسبيحه وذكره وحمده وتقديسه كما يلهم أحداً النفس فهذا هو عيشهم جعلهم الله تعالى خيراً

محضاً لا شر فيه لكن بالإضافة إلى هذه العبادة المشتركة لهم وظائف متخصصة فقد أخبرنا الله تعالى عن وظائف

جماعية متخصصة ووظائف فردية فقال سبحانه وتعالى: { وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا

{ [الصفات: ١ - ٣] هذه جماعات من الملائكة قال تعالى: { وَالتَّارِجَاتِ غَرْقًا (١) وَالتَّاسِطَاتِ نَشْطًا (٢)

وَالسَّاجِدَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّائِقَاتِ سَبْعًا } [النازعات: ١ - ٤] جماعات من الملائكة تقوم على أعمال معينة -

{ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ } [الصفات: ١٦٥، ١٦٦] .

ثم هناك أعمال موكولة في أفراد وآحاد من الملائكة، فأشرف الملائكة ثلاثة: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وإنما نالوا

هذا الشرف لأن الوظيفة المناطة بهم وظيفة الحياة والحياة أشرف ما يكون من الأوصاف، وأشرفهم جبريل؛ لأن

عمله يتعلق بحياة القلوب وهو النزول بالوحي { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا

الإِيمَانُ } [الشورى: ٥٢] فسمى الله الوحي روحاً به حياة الموكول بذلك هو جبريل عليه السلام { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ

الْقُدْسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ } [النحل: ١٠٢]، { نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ } [الشعراء: ١٩٣]، فلما كانت هذه مهمته كان

جبريل عليه السلام سيد الملائكة بشرف العمل الذي أنيط به.

ميكائيل وكل به حياة النبات والأرض لأنه مسؤول عن القطر عن إنزال المطر فهو المعني بذلك فلا تنزل

قطرة إلا بتدبيره بعد تدبير الله عز وجل.

وإسرافيل موكول بحياة الأبدان إذ انه ينفخ في الصور فتعود الأرواح إلى الأبدان التي كانت تعمرها في الدنيا

لهذا كان هؤلاء الثلاثة هم سادة الملائكة لكن ثم وظائف أخرى موكولة ببعضهم كما ذكر الشيخ -رحمه الله- قال:

{ وَنُؤْمِنُ بِالْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ } قال الله تعالى: { كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ } [الانفطار: ١١، ١٢]

والكرام الكاتبين هم الحفظة الذين جعلهم الله تعالى عن يمين الإنسان وشماله { مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ

عَتِيدٌ} [ق: ١٨] ، وقد ظن بعض الناس أن رقيب وعتيد اسمين للملكين والصحيح أنهما وصفان وليس إسمين، يعني رقيب وعتيد يعني أنه يترقب ومعتد ومنتهيء لهذا الشيء فهو وصفٌ لا اسم، فقد جعل الله تعالى عن يمين الإنسان وشماله ملكين يحصيان عليه أعماله من الحسنات والسيئات وقد ورد في حديث أن ملك اليمين يكتب الحسنات وملك الشمال يكتب السيئات في حديثٍ حسنه بعض أهل العلم فيه أن العبد إذا أذنب فهم ملك الشمال يكتب سيئته قال له ملك اليمين أمسك ست ساعات فإن تاب وإلا فأثبتها فهذا يدل على أن ملك اليمين يكتب الحسنات وملك الشمال يكتب السيئات إن صح الحديث.

وهل يكتبان كل شيء؟ وقد اختلف العلماء في ذلك، هل يكتبان فقط ما يتعلق بالثواب والعقاب من لأقوال ولأعمال أم يكتبان ما سوى ذلك من الأمور العادية والنازليات اليومية، فمنهم من قال لا يكتبان إلا ما يتعلق بالثواب والعقاب وبعضهم قال: بل يكتبان كل شيء حتى قول الإنسان أقوم وأقعد وأذهب وأجيء وحتى قيل أنهما يكتبان الأنين وقد حضر المروزي -رحمه الله- عند الإمام أحمد وهو في فراش الموت وكان الإمام أحمد يئن فساق بإسناده حديثاً أن الأنين يكتب فصمت الإمام أحمد حتى مات لم يئن -رحمه الله-.

وهل تكتب الملائكة خطرات النفس؟

هذا أيضاً مما بحثه أهل العلم حينما يكون في النفس داعٍ إلى هوى أو داعٍ إلى هدى هل يكتبانه أم لا، كل ذلك مما جرى الخلف والبحث فيه، فإذا من أشهر مهام الملائكة أنهم يكتبون قال الله تعالى: {كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} [الانفطار: ١١، ١٢]، ووصفهم الله تعالى بهذا الوصف كرام وقال في آيةٍ أخرى {بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ} [الأنبياء: ٢٦] .

فالله تعالى كرمهم فحقيقٌ بنا أن نكرمهم فهم محل الكرامة ينزهون عن الظلم ولهذا يقول العبد يوم القيامة لربه: ظلمني كتبك يريد أن ينافح عن نفسه فيقول الله عز وجل رأيت إن بعثنا عليك شاهداً من نفسك بل يقول قبل ذلك كفى بنا عليك شهوداً وكفى بالكاتبين شهوداً رأيت إن بعثنا عليك شاهداً من نفسك فيختم الله على فيه وينطق جوارحه فيكون أول ما ينطق منه فخذة فيحدث بما وقع منه ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول مخاطباً جوارحه بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل والمقصود أن الله تعالى برأ ملائكته من ظلم العباد فهم لا يظلمون أحداً وإنما يكتبون ما يقع من العباد فإن الله قد جعلهم حافظين لذلك سموا حفظة ولهذا يقول الله عز وجل حاكياً عن الكفار يوم القيامة {مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف: ٤٩] فهذا من مهام الملائكة.

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..